مجلة الرائد

العدد : ٢٤٠ الموافق في شوال ١٤٢٣ هجري ٢٠٠٢/١٢ ميلادي

عنوان المقال : أولويات العمل الإسلامي في الغرب	الكاتب : أ. محمد العروسي

سبق لنا أن عرفنا الأولوية على أنها الواجب ؛ الذي يتحتم القيام به في الحال، بغية تحقيق واجبات أخرى ضرورية تترتب عليها مصلحة عاجلة وعامة، وعليه وبعد التسليم بأن الوجود الإسلامي في الغرب اكتسب صفة الإقامة والاستقرار النهائي بعد حالة التردد والضبابية، يمكن ترتيب أولويات العمل الإسلامي في الغرب كالتالي:

- توفير عوامل الاستقرار للمجتمع المسلم الناشئ .
- الحفاظ على هوية هذا المجتمع وتوريث ذلك للأجيال الناشئة.

وبذلك نكون قد رسمنا المحورين الآنيين الأساسيين للعمل الإسلامي في الغرب

لم تكن الهجرة الإسلامية الحديثة لأوروبا والغرب عموما أول محطة يلتقي فيها الإسلام والمسلمون مع أبناء الغرب، بل إن ذلك تبلور حقيقة واقعة في الأندلس ، واستقر وثبت إلى اليوم في أوربا الشرقية، ولا نهدف في هذه المقالة إلى أن نحلل حيثيات هذا اللقاء ، أو أن نرد على من يصفه بالغزو وغير ذلك من الأوصاف، فذلك موضوع آخر يمكن تناوله في غير هذا الموضع.

إلا أن هذا الوصول التاريخي القديم شكل عند بعض فصائل المجتمع الغربي عقلية رافضة للإسلام، أدت إلى الجهل بأحكامه وسماحته وحلاوته وطراوته. ومر هذا الرفض بمراحل متفاوتة من الازدياد والنقصان حسب تأثره بأحداث العالم السياسية والعسكرية والاقتصادية ، إلى أن فوجئ الغرب بمجتمع مسلم بين ظهرانيه يشاركه معيشته اليومية ويقاسمه قوته اليومي، يحاوره في الفكر والحضارة ومستقبل الإنسان على وجه الأرض .

ولابد أن نعترف بداية بأن الطرفين لم يكونا مستعدين إلى هذا اللقاء الحديث : الجانب الغربي كان يعتقد أنه رسم للإسلام حدودا نهائية بعيدة عنه، وحجم الوجود الإسلامي في أوربا الشرقية - حتى لا نقول قمع الوجود الإسلامي -، والمهاجرون المسلمون الجدد لم يخططوا لاستقرار واستيطان في البلاد المضيفة، بل إن بعضهم لا يزال يفتي بحرمة البقاء ويدعو لحزم الأمتعة والعودة .

في هذا الإطار ارتسم الوجود الإسلامي الحديث في الغرب، لذلك أعتقد بان من أولوياتنا في الوقت الراهن أن نضع الإطار الفكري الديني والاجتماعي، السياسي الذي يمكن المجتمع المسلم الناشئ من الاستقرار. ويبدأ ذلك بف رز عوامل الرفض والعداء للإسلام وتفنيدها وإظهار أخطائها ومغالطاتها،

ثم توليد عوامل التواصل والتفاهم والتعاون، على أمل أن تنبسط أرض خصبة للعمل الإسلامي في الغرب يتجه فيها العاملون للتربية على مبادئ الإسلام والدعوة إليها بما يحفظ هويتهم ويرسخ عقيدتهم.

مساندة الدعوة إلى احترام تعدد الثقافات والديانات :

تبنى الغرب الحديث مبدأ الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان وناضل أبناؤه لنيل هذه المكتسبات، ولم يدَّع أنه يحتكرها لنفسه أو لجنس ما أو عرق ما، فلماذا لا يستفيد المسلمون الغربيون من ذلك ويطالبون بالكثير من الحقوق انطلاقا من هذه المبادئ التي تلتقي مع كثير من المفاهيم الإسلامية .

علينا أن ندرك نظريا وعمليا المنظومة الفكرية القائمة في المجتمع الغربي، ونستفيد منها لرسم إطار فكري للمسلمين في الغرب، ونحسن التعامل معها .

لقد شرعت الديانات السماوية منذ بدأ الخليقة مبادئ تحفظ كرامة الإنسان وترشده كيف يعيش في أمان مع أخيه الإنسان، وتوارثت الحضارات بعض هذه التشريعات وإن أدعت بأنها أوجدتها هي لأول مرة، لذلك ونحن حين نلتقي مع بعض القيم الإنسانية الحديثة في الغرب وغيره فإنما نلتقي مع مبادئ الأنبياء والرسل ونستعيد إرثنا العقيدي والتشريعي، الذي جاء به الأنبياء والرسل وأتمه محمد صلى الله عليه وسلم الذي بعث ليكمل الرسالات السماوية ويختمها، ويتمم مكارم الأخلاق ويرسخها .

فالتقاؤنا مع المبادئ الإنسانية المتأصلة ؛ في تشريعات الأنبياء هو دعوة لها، وهو أمر محمود مطلوب، في حين أن البعض منا عندما يساند ما يدعو إلى العدل والكرامة والتسامح تحت مسميات غربية حديثة يظن بأنه يتنازل عن دينه وعقيدته ويميع قضيته. وإذا ما أدرك المسلم المواطن الغربي هذه الحقيقة سيستهل اللقاء مع الآخرين والتجاوب معهم، فيحمل معهم نفس القضية ويناضل معهم لتحقيق الس عادة للجميع.

وتدبر معي النصوص التالية من صحيح مسلم:

- جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: " إنما بعثت **لأتمم** مكارم الأخلاق "
- قال علي بن أبي طالب يا سبحان الله ما أزهد كثيراً من الناس في خير، عجباً لرجل يجيئه أخوه

المسلم في الحاجة فلا يرى نفسه للخير أهلاً، فلو كان يرجو ثواباً و لا يخشى عقاباً لكان ينبغي له أن يسارع في مكارم الأخلاق فإنها تدل على سبيل النجاح . فقام إليه رجل فقال : فداك أبي و أمي يا أمير المؤمنين أسمعت من رسول الله صلى الله عليه و سلم ؟ قال : نعم .

و ما هو خير، فذكر حديثاً في قدوم ابنة حاتم الطائي وذكرها أخلاق أبيها وأنه لم يرد طالب حاجة قط - ذكرناها في كتاب دلائل النبوة -

قال : فقال النبي صلى الله عليه و سلم : خلوا عنها **فإن أباها كانا يحب مكارم الأخلاق** و الله يحب مكارم الأخلاق . فقام أبي بردة بن دينار فقال : يا رسول الله، الله عز و جل يحب مكارم الأخلاق ؟ فقال: رسول الله صلى الله عليه و سلم : و الذي نفسي بيده لا يدخل الجنة أحد إلا بحسن الخلق" .

يظهر لنا هدا النصان أن مكارم الأخلاق أصل في ديننا وسبيل النجاة من النار، و إذا ما دعى إليها غبرنا فلا ضير في الالتقاء معه والعمل معه لتجسيد هذه المكارم .

وتدبر معي أيضا هذه الآية الكريمة: {ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون}، فعلى كل مسلم أن يكون داعية إلى الله في أي موقع كان فيه، والدعوة إلى الله هي الدعوة لما يسعد الإنسان .

أعود فأقول : إن مساندتنا للشعارات التي ترفع وتنادي باحترام تعدد الثقافات والأديان لها أصل ديني عندنا، فنحن نقبلها من حيث المبدأ ولا نردها ممارسة، وهي تضمن للمجتمع المسلم في الغرب أن يعبر عن وجوده ويؤصل بقاءه قانونا وعرفا .

لذلك إذا التقينا في تجمعات ومؤسسات تناضل ؛ في هذا الإطار مع غبرنا من غير المسلمين فإننا سندعم وجودنا ونجنبه المضايقة ، وسنجد لأنفسنا مكانا محترما داخل المجتمع، قادرا على التأثير الإيجابي يمكننا من الخروج من ال تقوقع إلى دائرة العمل الإيجابي المؤثر والشراكة الخيرة.

فلا بد أن يشعر المسلمون أنهم مطمئنون محترمون في انتمائهم العقيدي، غير متهمين في نواياهم الداعية إلى إنشاء مجتمع متعدد الأعراق والثقافات.

ولا يكون ذلك إلا بالتواصل المستمر مع جميع فئات المجتمع، والتحاور معها على المستويات التالية:

- المستوى الفكري والعقدي
- المستوى السياسي
- المستوى الشعبي العام

المجتمع الناشئ يحتاج أن يحافظ على هويته :

لا يمكن لمجتمع ناشئ أن يصمد إذا لم يجسد هويته لدى أبنائه، فالأجيال ترث الأجيال ، لذلك لابد من:

- الاهتمام بالتعليم الإسلامي منذ رياض الأطفال وحتى البلوغ، لتثبيت المعتقد الإسلامي الذي يشعر المؤمن بعزة الإسلام، وشرف الانتماء وحلاوة الإيمان ولا يكون ذلك إلا بتعلم العقيدة الصحيحة، وتقدير نعمة الهداية. ولا بد من تحمل تبعات ذلك المادية ، والبشرية، بنفس طويل وصبر مستمر، فما أحلى الثمار التي تقتطف بعد العناء والتعب، فمثل هذا يحتاج إلى المؤسسات التعليمية والكوادر المتخصصة الواعية.
- تمكين المجتمع المسلم من إقامة شعائره في حياته اليومية، سواء كان ذلك في أماكن أو في حياته العامة اليومية. فالمسجد ضروري، والطعام الحلال ضروري، واللباس الشرعي ضروري. وهي ضروريات شرعية علينا أن نوفر الإطار القانوني لممارستها، وأن نجعلها مع الزمن من أعراف المجتمع شأنها كشأن الأديان والطوائف الأخرى.
- وبقدر ما ندعو إلى الانفتاح على المجتمع الغربي ندعو إلى التواصل مع الأمة الإسلامية جمعاء، أينما وجدت .